Journal of Al-Farabi for Humanity Sciences Volume (8), Issue (4) October(2025)

ISSN: 2957-3874 (Print)
Journal of Al-Farabi for Humanity Sciences (JFHS)
https://iasj.rdd.edu.iq/journals/journal/view/95
مجلة الفارابي للعلوم الإنسانية تصدرها جامعة الفارابي

الرؤيا في المنظور الديني والحضاري دراسة وصفية

م٠ عماد سالم سلمان محمد الخزرجي

كلية الامام الأعظم الجامعة / قسم اصول الدين ديالى

xccdk7766@gmail.com

Visions from a Religious and Civilizational Perspective A Descriptive Study

Emad Salem Salman Muhammad Al-Khazraji

Abstract

Visions have played a significant role in shaping many historical, cultural, and religious events, influencing their course. They have also occupied a significant portion of the concerns and thinking of Islamic society, and their effects continue to this day. Indeed, many of today's inventions and civilizational achievements were, in the past, merely a kind of dream or imagination that perhaps haunted humanity and which it sought to realize in practical reality. Perhaps what has been written about visions has mostly dealt only with its religious aspects, and has not addressed its influence in shaping many historical events, nor has it addressed its moral and psychological aspects and its impact on the public. Civilizations and religions have been interested in visions because of what they hold for them of future matters, and they have passed down stories of visions and their events from one generation to the next, so they became part of their heritage and intellectual history. These stories were mixed with myths, superstitions and beliefs of ancient nations, until Islam came, and the indications were clear in the Holy Quran and the books of the Prophet's Sunnah, which also came to explain and point to visions, their interpretation and cognitive significance. For this, specific conditions were set for those who interpret visions, some of which differ from what they were in the past according to the new concept and Islamic view of visions. As for the difference between visions and sightings, visions "are specific to what occurs in sleep, and the difference between them is in the feminine letter, such as closeness and proximity, which is the impression of the image descending from the horizon of the imagination to the common sense".

الملخص

الرؤيا قد لعبت دوراً مهماً في صناعة الكثير من الأحداث التاريخية والحضارية والدينية ، وأثرت في مجرياتها ، كما أنها شغلت حيزاً كبيراً من اهتمامات المجتمع الإسلامي وتفكيرهم ، لازالت آثارها إلى يومنا هذا . بل إن كثيراً من المخترعات والمعطيات الحضارية اليوم لم تكن بالأمس إلا نوعاً من الحلم والخيال ربما كانت تراود الإنسان ويسعى إلى تحقيقها على الواقع العملي . ولعل ما كتب عن الرؤيا لم يتناول في اغلبها إلا الجوانب الدينية منه ، ولم يتطرق إلى تأثيرها في صناعة الكثير من الأحداث التاريخية ولم يتناول جوانبها المعنوية والنفسية وتأثيرها على الجمهور . وقد اهتمت الحضارات والاديان بالرؤيا لما تحمله من أمور المستقبل لهم وتناقلوا قصص الرؤى وأحداثها جيلاً بعد آخر، فكانت جزءاً من موروثهم وتأريخهم الفكري ، وقد اختلطت هذه القصص بالأساطير والخرافات ومعتقدات الأمم القديمة ، حتى جاء الإسلام فكانت الإشارات واضحة في القرآن الكريم وكتب السنة النبوية هي الأخرى جاءت موضحة ومشيرة إلى الرؤيا وتعبيرها ودلالتها المعرفية ، ووضعت لذلك شروطاً معينة لمن يعبر الرؤيا تختلف في بعضها مما كان عليه في السابق على وفق المفهوم الجديد ونظرة الإسلام للرؤيا ، أما الفرق بين الرؤيا والرؤية فان الرؤيا "مختصة بما يكون في النوم والفرق بينهما بحرف التأنيث كالقربة والقربى وهي انطباع الصورة المنحدرة من أفق المتخيلة إلى الحس المشترك".

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه اجمعين. اما بعد : إن الرؤيا قديمة قدم الإنسان على الأرض ، وهي لم تكن نتاج دين معين أو مذهب أو نظام سياسي ، وإنما وجدت مع الإنسان الذي تعجب من أمرها أي الرؤيا أول أمره فعدها في البداية من الخوارق ، واجتهد لإيجاد التبريرات لها ، فكان تعبير الإنسان البدائي لتلك الرؤى مشابهاً لحد ما لتفسيراته للظواهر التي عجز عن معرفتها . إن اغلب الشعوب القديمة عدت الرؤيا باباً

من أبواب الكهانة والتنبؤ بالغيب ، بل عدته نوعاً من أنواع الاتصال بين الآلهة وبين البشر فكان إن وضعت لذلك الاتصال الشروط مع ما يتناسب وتطور الإنسان بتطور حضارته وبيئته الثقافية والاجتماعية ، واجتهدت تلك الشعوب بإيجاد تفسير لكل رؤيا فكان أن وضعت التعبيرات لكل ما يراه الإنسان في منامه أكان ذلك الشيء إنساناً أو حيواناً أو نباتاً أو جماداً من الصور التي يراها في منامه . نشوء علم تعبير الرؤى منذ أقدم الأزمنة ، فكان الكاهن ورجل الدين في تلك الحضارات هو من يقوم بتعبير تلك الرؤى ، فكان الكاهن يستغل هذا الجانب في تدخله بالسياسة وأمور الملك عُدت الرؤيا من الأمور المبشرة بالإحداث الجسام ، فكان لها اثر كبير في التبشير بمبعث الرسول صلى الله عليه وسلم وتهيئة الأذهان لتقبل الدعوة الإسلامية ، فما إن اقترب المبعث حتى نرى وبوضوح كتب السير والأخبار وهي تنقل الكثير من الرؤى المبشرة بحدث عظيم عند العرب وبالأخص في مكة ، وعلى الرغم من البعض منها قد يكون من وضع الرواة إلا أن تلك الروايات تبين وبوضوح كيف كان الاعتقاد سائداً بالرؤى وبما تعنيه وبما تبشر به اقر الإسلام الرؤيا وتعبيرها ، بل إن الله تعالى أكرم يوسف عليه السلام كونه من معبري الرؤى ومن العارفين بأسرارها ، وقد وضع الإسلام الحدود والضوابط للرؤى بما يتناسب مع ما جاء في القرآن الكريم ، إلا أن الكثير من المعتقدات القديمة تسللت إلى علم تعبير الرؤى سواء بقصد أم عن غير قصد أو أن المسلمين لم يجدوا ظيراً من الأخذ بها أو أن الرسول صلى الله عليه وسلم اقرها ، فبقيت على حالها فكانت للرؤيا خصوصية في التعبير من حيث معبريها والأوقات التي تحصل فيها . لعبت الرؤيا دوراً كبيراً في انتصارات المسلمين في أول أمر الدعوة الإسلامية ، حيث كانت تلك الرؤى تحقق نوعاً من الموازنة المعنوية أو النفسية بين المشركين الذين كانوا بكثرتهم العددية وعدتهم ، مع المسلمين الذين كانوا قلة في العدد والعدة ، فكانت الرؤيا تبث بين المسلمين روح التفاؤل بالنصر والبشرى به ، وكانت رؤى المشركين تفت في عضدهم وتخذلهم وترسم لهم سلفاً صور مما سيكون عليه حالهم في المعركة فأخذت تلك الرؤى جانباً سياسياً وعسكرياً في الكثير من الأحيان ، كان القصد منه النصر المعنوي وتحطيم معنويات المقابل قبل المعركة ، هذا إذا ما علمنا أن بعض تلك الرؤى أي التي تثبط معنويات المشركين من أناس لهم تعاطف مع المسلمين مثال على ذلك رؤيا عاتكة وجهيم في معركة بدر . نقلت بعض الرؤى صوراً للحال الذي كان عليه المسلمين سواء الحال الاجتماعي أو السياسي أو الاقتصادي ، حيث كان الرواة ينقلون مع تلك الرؤى بعض الأمور التي كانت توضح صور معينة من حياة المسلمين ، وكان بعض تلك الرؤى بمثل الموقف غير المعلن حيث كان البعض يتذرع بتلك الرؤى لتغيير المواقف ، وهذا يدلل على أهمية الرؤيا ومكانتها ويذكر بالمكانة المهمة والقديمة الممتدة بجذورها إلى الأمم السابقة .

أوضحت الكثير من الرؤى حلولاً مهمة ، كان البعض منها حلاً لأمور فقهية أو أمور مختلف عليها من قبل المسلمين ، فجاءت الرؤيا إلهاماً وموضحاً لتلك الحلول واكتسبت تلك الحلول شرعيتها عن طريق موافقة الرسول صلى الله عليه وسلم عليها وحسمها . الرؤيا والاحلام والمشاهدات والتخيلات وغيرها من الاحداث كان لها الاثر على حياة الانسان وارتباطها به بشكل تأثيري على كل حياته ،و الرؤيا قد لعبت دوراً مهماً في صناعة الكثير من الأحداث التاريخية والحضارية والدينية، وأثرت في مجرياتها ، كما أنها شغلت حيزاً كبيراً من اهتمامات أي حضارة اودين وتفكيرهم ،و لازالت آثارها إلى يومنا هذا بارزة بل إن كثيراً من المخترعات والمعطيات الحضارية اليوم لم تكن بالأمس إلا نوعاً من الحلم والخيال ربما كانت تراود الإنسان ويسعى إلى تحقيقها على الواقع العملي ،ولعل ما كتب عن الرؤيا لم يتناول في اغلبها إلا الجوانب الدينية منه ، ولم يتطرق إلى تأثيرها في صناعة الكثير من الأحداث التاريخية ولم يتناول جوانبها المعنوية والنفسية وتأثيرها على الجمهور .لذلك فأن موضوع الرؤيا بحسب علمنا لم يلقَ هذا الموضوع اهتماماً كبيراً كما لاقته حقول البحث الأخرى ، اللَّهم إلا ما يتعلق بالأحلام وهي تختلف عن الرؤيا التي نحن بصددها .إن هذه الدراسة ربما تفتح باباً جديداً لدراسة الموضوع نفسه من جوانب أخرى ولفترات أخرى، وهي تختلف كثيراً في مواضيعها ودوافعها وأهدافها عن العصور الأخرى ،فمن الطبيعي أن تكون الرؤى في مثل هذا المجتمع مختلفة عن سابقاتها ، لأنها تمثل انعكاساً لهذه المعطيات الحضارية الجديدة ،لذلك فان باب الرؤيا والخوض فيه يبقى مفتوحاً لدراسات أخرى قد تكون أعماً واشملاً، وأخيراً تناولت علاقة الرؤيا بالتنبؤات حيث استخدمت بعض الرؤى كوسيلة للتنبؤ بالمستقبل ومعرفة ما ستؤول إليه بعض الأمور ،وقد قسمت الدراسة إلى مقدمة ومباحث ومطالب وخاتمة ومصادر، وفي الختام أضع هذا الجهد المتواضع أرجو أن ينال من التوفيق من الله في سبيل الوصول إلى أفضل النتائج ، راجياً من الله)أن يكون هذا البحث خطوة جديدة على طريق البحث والمعرفة ولا كمال إلا لله .وما توفيقي الا بالله .

المبحث الأول تعريف المفاهيم

المطلب الأول تعريف الرؤيا لغة واصطلاحا

الرؤيا لغةً :الرؤيا بالضم مهموز، وقد يخفف ما رأيته في منامك وهي لا تُجمع ، وقيل رأى في منامهِ رؤيا على فعلى بلا تنوين وجمعها رؤى ،"وهي مأخوذة من الفعل رأى رأيته بعيني رؤية ، ورأيته في المنام رؤيا" ، وفي سورة يوسف (إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَباً وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ) ،"ورأيت هنا من الرؤيا لا من الرؤية" . وجمع الرؤيا رؤى بالتنوين بوزن رعى ، وذكر أبو عمرو بن العلاء أن أهل الحجاز لا يهمزون "رؤيا" وبكر وتميم تهمزها ، ويقال رُيا بقلب و ياءاً والراء مضمومة ويقال رِيا بكسر الراء ، وذلك لتناسب الياء والأصل في كلمة الرؤيا الهمز ، وعليه الجمهور.

الرؤيا اصطلاحاً :"الرؤيا هي ما يرى في المنام وهي صادقة وكاذبة" وهي " فعل للنفس الناطقة ولو لم تكن لها حقيقة ، لم تكن هذه القوى في الإنسان فائدة والحكيم تعالى منزه عن الباطل" ، وقيل أن " المدرك في النوم يوجد ويرتسم في الحس المشترك وذلك الارتسام على وجهين الأول أن يرد ذلك المدرك على الحس المشترك من النفس الناطقة التي تأخذه من العقل الفعال فان جميع صور الكائنات مرتسم فيه ثم أن ذلك الأمر الكلي المنتقش في النفس يلبسه ويكسوه الخيال صوراً جزئية أما قريبة من ذلك الأمر الكلي أو بعيدة منه" ، ويمكن أن نجمل القول في الرؤيا بما ذكر من أن " النفس كالمرآة ، ولوح الله تعالى مكتوب فيها

جميع ما كان وما سيكون ، لا على لوح من خشب أو حديد بل على شيء مجرد لا بكتابة معهودة بل بنقش معنوي . ثم أن الحواس إذ تعطلت بالنوم ارتفع حجاب النفس إذ لا حجاب لها غير الالتفات إلى المحسوسات ، فحينئذ يتقابل اللوح ومرآة النفس فتنقش إلا أن النوم لا يمنع الخيال عن عمله فيحاكي المعاني بمثال يقارب ذلك المعنى ، فالمعبر إنما يعبر عن الصورة الخيالية إلى المعنى المأخوذ من اللوح فيحكم بجلية الحالة".

"والرؤيا من الله عز وجل وهي حق إذا رأى صاحبها شيئاً في منامه ما ليس هو ضغت فقصها على عالم وصدق فيها وأولها العالم على اصل تأويلها الصحيح ولم يحرف فالرؤيا حينئذ حق وقد كانت الرؤيا من الأنبياء وحي".

المطلب الثاني علم تعبير الرؤيا

جاء في تعريف علم تعبير الرؤيا :(هو علم يتعرف منه المناسبة بين التخيلات النفسانية والأمور الغيبية لينتقل من الأولى إلى الثانية وليستدل على الأحوال النفسانية في الخارج أو على الأحوال الخارجية في الآفاق ومنفعته البشرى أو الإنذار لما يروه ويرونه .أما ابن خلدون فقد عرفه قائلاً :هذا العلم من العلوم الشرعية وهو حادث في الملة عندما صارت العلوم صنائع وكتب الناس فيها وأما الرؤيا والتعبير لها فقد كان موجوداً في السلف كما هو في الخلف وربما كان في الملوك والأمم من قبل الا انه لم يصل إلينا للاكتفاء فيه بكلام المعبرين من أهل الإسلام والا فالرؤيا موجودة في صنف البشر على الإطلاق ولابد من تعبيرها ، وقد عُرف التعبير أيضاً بمعنى التفسير هو مختص بتعبير الرؤيا وهو العبور من ظواهرها إلى بواطنها ، وهو اخص من التأويل فأن التأويل يقال فيه وفي غيره"،أما ابن حجر فقد عرف التعبير قائلاً: يقال عبر الرؤيا مثقل ومخفف إذا اعلم بما يؤول إليه أمرها"، ويبدو أن علم التعبير قديم حيث ("اعتقدت الشعوب القديمة بان الحلم حدث سوف يقع على الفرد الذي يجب أن يجتهد ليجد من يفسر ذلك الحلم له ويعمل على تجنب وقوعه بالطرق المعتمدة لديه باستشارة مفسري الأحلام الذين يعرفون بخبراتهم المتوارثة ما تنطوي عليه الأحلام من معان وأفكار". وتحتوي ملحمة كلكامش على الأحلام وكيف أن بطلها كلكامش رأى رؤيا وعبرتها لها أمه التي كانت عارفة بتعبير الرؤى ، ويمكننا الاستدلال من أن علم تعبير الرؤيا شغل حيزاً لا يمكن الاستهانة به عند الاقدمين ، على الرغم من أن هذا العلم كان مستنداً إلى قواعد ليست كالتي أرساها الإسلام فيما بعد ، حيث كانت الأسطورة والخرافات تلعب دوراً بارزاً فيه، وعلى الرغم من هذا الحيز في تعبير الرؤيا الا أن هناك من كان يعارض "الاعتقاد السائد برؤيا الأحلام عن المستقبل وهنالك من البينات بان بعض الناس وبعض الحضارات والأقوام كانت أكثر واقل أيماناً من غيرها بهذا الاعتقاد واستجابة لمقتضياته" ، وكان ممن عارض ورفض مستقبلية الأحلام هو الفيلسوف أرسطو في واحد من ثلاثة من مؤلفاته "عن الأحلام وهو كتاب عن النبوءة في الأحلام" .

المطلب الثالث مصادر تعبير الرؤيا

أما فيما يخص الكتب التي عرفت في التاريخ على أنها كانت تفسر الأحلام ورموزها فهي كثيرة ، مثل كتاب تعبير الرؤيا لأرطميدوس الافسي ، وهو من الكتب الأولى في تعبير الرؤيا وتفسيرها ، وقد قسم الكتاب إلى عدة مقالات وقسمت المقالات إلى أبواب كل باب منها يعبر ما يراه الإنسان في منامه ويفك رموز كل رؤيا وحلم ،ومن الملاحظ في هذه الكتب إن علم التعبير القديم قد ميز بين الرؤيا وأضغاثها حتى منذ أقدم الأزمنة ولكنها أخذت تعريفاً آخر "فأقول إن الرؤيا تخالف الأضغاث لأن الرؤيا تدل على ما سيكون وأما الأضغاث فإنما تدل على الشيء الحاضر وقد يمكنك أن تعلم علماً بيناً أي الآلام يمكن أن تتراءى إلى النفس حتى تتعلق بها وتؤثر فيها فتحدث من ذلك منامات" وهذا يفسر التناقض الموجود بين تعبير الرؤيا في العصور القديمة والإسلام فأضغاث الأحلام في المنظور الإسلامي كما ذكرنا "تخاليطها وأباطيلها وما يكون منها حديث النفس ووسوسة الشيطان".أما الإسلام فقد أرسى القواعد الأساسية لعلم تعبير الرؤيا فيما بعد مستمداً هذا العلم قواعده من سنة الرسول وأحاديثه الشريفة في هذا المجال واضعاً الضوابط "التي يجب على المعبر اعتمادها لكي يصح التعبير بالمنظور الإسلامي فتلقفها الصحابة الكرام من بعده ، ثم انتقلت إلى التابعين من بعده ، واستمرت في رحلتها حتى عصرنا الراهن" ، ولكن هذا لم يمنع مطلقاً أن يختلط علم تعبير الرؤيا ببعض الموروثات القديمة ، والتي عرفتها الحضارات القديمة ولنا في كتب التعبير القديمة والتي وصلت إلينا خير دليل على ما نذكر ، فالمتتبع في تلك الكتب لا يحتاج إلى جهد ليجد الكثير من الامور التي تخص التعبير وقد تشابهت واختلطت بين التعبير الماضي السحيق وبين ما وجد عند معبري الرؤيا زمن الإسلام بعد أن تطورت أساليب التعبير وأخذت طابع الكتابة والتدوين ، وقد أطلق عليهم تسمية "المعبرون من أصحاب التأليفات" ، والذين بدأ في عهدهم تدوين علم تعبير الرؤى ورموزها وقد بدأ هذا العلم والكتابة فيه ابن سيرين الذي يُعد من أوائل من دونوا في تعبير الرؤى ، فتطور تعبير الرؤى في عصره وانتقل من المرويات الشفهية إلى التدوين ، وقد اختلط علم تعبير الرؤى عبر تأريخهِ الطويل بالكثير من المفاهيم التي عرفتها الأمم السابقة، وبقي هذا العلم يتحمل الإصابة والخطأ حتى على من هم كبار عارفيه وعلمائه فهذا رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لأبي بكر رضي الله عنه بعد أن قام بتعبير إحدى الرؤى (أصبت بعضاً وأخطأت بعض"، هذا وان علاقة أبي بكر بالرؤيا قديمة قبل الإسلام ، وان الرسول اقرهُ على تعبير الرؤيا حيث قال "أمرت أن أولي الرؤيا أبا بكر)" وقد تفرد ابن ماجة نقلاً عن انس بن مالك بحديث عن الرسول يقول فيه : "اعتبروها بأسمائها و كنوها بكناها والرؤيا لأول عابر" ، وفيه تأكيد على أن من يرى رؤيا تقع على ما يعبر به العابر الأول أو المفسر الذي يسمعها لأول مرة ، وقد اثبت الرازي عدم صحة هذا الحديث بدليل من القرآن الكريم والذي ورد في سورة يوسف (قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلامٍ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الْأَحْلامِ بِعَالِمِينَ) ، وها هنا يعلق الرازي قائلا

" فانا قد علمنا أن الرؤيا كانت صحيحة ولم تكن أضغاث أحلام لان يوسف عبرها على سني الخصب والجدب وهو يبطل قول من يقول إن الرؤيا على أول ما تعبر لان القوم قالوا هي أضغاث أحلام ولم تقع كذلك ويدل على فساد الرواية بان الرؤيا على رجل طائر فإذا عبرت وقعت"( ) ، وهو بهذا يأتي بالدليل من

القرآن الكريم ويستشهد بضعف تلك الروايات والتي ربما يكون نصيبها من الصحة ضعيفاً لأنها عارضت القرآن الكريم واختلفت معه .أما الحديث الذي أشار إليه الرازي والذي ناقضته الآية القرآنية فهو " الرؤيا على رجل طائر ما لم تعبر فإذا عبرت وقعت قال واحسبه قال ولا تقصها إلا على وادٍ أوذي رأي"( ) ، وهكذا ربما تكون بعض الأحاديث التي تخص الرؤى ضعيفة أو أنها لم تدقق أو تقارن ببعض آيات القرآن الكريم أو بعض الأحداث التي أشارت للرؤى وربما تكون بعضها من وضع معبري الرؤى لأغراض كثيرة ومتعددة . فعلم تعبير الرؤيا بقى لمدة طويلة يخضع لاجتهادات وآراء الكثيرين الذين أضافوا مما اكتسبوه من تجاربهم أو حتى من موروثهم سواء كان مما جاء به القرآن الكريم أو السنة النبوية أما ابن خلدون فكان له تعريف آخر لعلم تعبير الرؤيا ، ويرى أن النفس الناطقة عند الإنسان تتجرد أثناء النوم عن المواد الجسمانية والمدارك البدنية وقد ("يقع لها ذلك لمحة بسبب النوم كما نذكر فتقتبس بها علم ما تتشوف إليه من الأمور المستقبلية وتعود به إلى مداركنا فان كان ذلك الاقتباس ضعيفاً وغير جلي بالمحاكاة والمثال في الخيال لتخلصه فيحتاج من اجل هذه المحاكاة إلى التعبير وقد يكون الاقتباس قوياً يستغنى فيه عنه المحاكاة فلا يحتاج إلى تعبير لخلوصه من المثال والخيال")( ) ، فالتعبير أي تعبير الرؤيا عند ابن خلدون إنما نشأ من وجود بعض الصور الخيالية في الأحلام والتي هي بحاجة إلى أناس يعرفون كيفية فك رموز هذه الصور وما تشير إليه من دلائل ومعاني قد لا يستطيع أي إنسان فك طلاسمها وأسرارها ، إلا من توفرت فيه خصائص تعبير الرؤى أو من كان ملماً عارفاً بعلم التعبير ، ولم يقف هذا العلم عند أبي بكر الصديق (□) "فقد سار الصحابة الكرام على اثر رسول الله (□) في تعبير الرؤيا ونقلت روايات متفرقة عن تعابيرهم في كتب التأريخ والطبقات فكانت حصيلتها مع الإرث النبوي مادة خصبة لنمو البذرة الأولى لمدرسة التعبير"( ) والتي برز فيها من الأوائل ابن سيرين ، ولم يقتصر علم تعبير الرؤيا على الرجال فقط فقد كان للنساء دورٌ مهم في هذا المجال حيث قال الرسول (□) "أعبر أمتي للرؤيا أبو بكر وأسماء بنت عميس(*)"( ) . وهذا يتعارض مع ما نسب إلى الرسول (□) من انه نهى أن تقص الرؤيا على النساء وعُد هذا الحديث من الأحاديث الضعيفة الباطلة( ) أما التأريخ الإسلامي فقد حضي بالكثير من الاهتمام لكتب تعبير الرؤيا وعلومها ومصنفاتها ، وقد ضاع قسم من هذه الكتب ، ومنها ما لم يحقق ، وهذه المؤلفات تعكس اهتمام العرب بالرؤيا ، ومن هذه المؤلفات كتاب طبقات المعبرين ذكر فيه خمسة آلاف وخمسمائة معبر من المشاهير الذين اشتهروا وبرعوا في هذا العلم ، واخذوا منه بقسم وقسمهم صاحب هذا الكتاب "إلى خمسة عشر قسماً الأول من الأنبياء والثاني من الصحابة والثالث من التابعين والفقهاء والخامس من المذكرين والسادس من المؤلفين"( ) ويعدُ ابن سيرين المقدم في علم تعبير الرؤيا بالاتفاق( ) ، وقد استمد علمه في تعبير الرؤيا من مدرسة الرسول (□) والصحابة (□) وله في هذا المجال كتاب جليل القدر سمي كتاب منتخب الكلام في تفسير الأحلام وهو مؤلف من جزئين ، وقد أورد فيه ابن سيرين أهم رموز الأحلام وكيفية تعبيرها للاعتماد على القرآن الكريم والأثر النبوي وما وصل من الصحابة والتابعين ، ومن يتتبع هذا الكتاب يلاحظ وبجلاء أن الصفات الواجب توفرها بمعبر الرؤيا هي أن يكون "عالماً بأصول التفسير وهي الكتاب والسنة وكلام العرب وأشعارها وأمثالها له فضل وصلاح وفراسة ولا يعبرها بالنظر في كتب العبارات ويعني بذلك على جهة التقليد"( ) وهذا الكلام وان يكن فيه ما يفيد في تعبير الرؤى الا انه لا ينطبق على كل جوانب تعبير الرؤى ، فما حال معبري الرؤى في الأمم السابقة والذين اشتهروا به قبل الإسلام ونزول القرآن ومعرفة السنة النبوية .وهكذا فقد بقي علم تعبير الرؤيا يتناقل من جيل لأخر بين الصحابة حتى وصل إلى ابن سيرين ، وقيل انه أي ابن سيرين أخذه عن ابن المسيب(*) وأخذه ابن المسيب عن أسماء وأخذته أسماء عن أبيها"( ) وقد دفعت مكانة ابن سيرين في تعبير الرؤيا إلى أن قال عنه البعض : "دخلت على ابن سيرين بواسط ، فلم أر اجبن من فتوى منه ، ولا أجرأ على رؤيا منه"( ) . وهكذا انطلقت المدرسة الأولى لتعبير الرؤيا لتكون البداية على يد ابن سيرين الذي فتح باب التدوين للمعبرين وتفاسيرهم في هذا المجال مستمدين علومهم ونتائجهم في علم تعبير الرؤيا " من أصول التعبير مثل ما ورد في قصة يوسف في البقرات السمان وفي منامي صاحبي السجن وفي رؤياه الشمس والقمر والنجوم ساجدة وسموه تعبير الرؤيا واستنبطوا تفسير كل رؤيا من الكتاب فأن عز عليهم إخراجها منهم فمن السنة التي هي شارحة للكتاب فأن عسر فمن الحكمة والأمثال"( ) ومن هذا الباب أي باب الحكم والأمثال ربما يكون قد تسلل إلى تعبير الرؤيا بعض الموروثات القديمة ، بل حتى منها الأساطير التي تناقلتها الشعوب جيلاً بعد آخر لتدخل في مضمار تعبير الرؤيا حيث أن القرآن الكريم والسنة النبوية لم يغطيا تعبير الرؤيا بالكامل على الرغم من أنهما كانا المصدرين الرئيسين في هذا العلم ، لكن وبسبب كبر مساحة هذا العلم احتاج المعبرون إلى الاستعانة ببعض من الموروث القديم ودمجه بعلم التعبير ، فمن يعقد موازنة بين كتب التعبير تعبير الرؤيا قبل الإسلام وبعده يستطيع الوصول إلى حقائق هذا التشابه بين تلك الحقبتين في تأريخ التعبير ومثال على ذلك " قال قوم من المعبرين إن الدراهم في الرؤيا هي دليل شر وجميع ما ختم بالسكة . فأما أنا فقد علمت أن الفلوس تدل على حزن وضيقة وكلام يتبعه غم"( ) ، وقد لا يجد القارئ فارقاً كبيراً بين ما تعنيه رؤية الدراهم النقود في المنام عند الرومان قديماً كما هو موضح في المثال أعلاه وبين التعبير نفسه في كتب تعبير الرؤيا عند المسلمين فعلى الرغم من أن الدراهم تعني أموراً أخرى إلا أن واحدة من هذه الأمور هي قول ("بعضهم الدراهم في الرؤيا دليل شر وجميع ما ختم بالسكة والدراهم الرديئة كلام سوء"( )) هذه الأمثلة وغيرها مما لا وسع لذكره ها هنا إنما تدل على التداخل بين الحضارات ، وان ثمرة هذا العلم كانت نتاج مشترك بين تلك الحضارات وتفاعلاتها، فلم تكن إنجازات العرب المسلمين ومصادرهم قد اكتفت بالقرآن الكريم أو السنة النبوية أو حتى من الصحابة والتابعين (□) وتفسيراتهم للرؤى بل إنها استمدت قسماً كبيراً من تعبير الرؤيا من علوم قديمة فهي سلسلة من الإنجازات المشتركة فقد "كان ارتميدروس يأخذ بعين الاعتبار الشخص الذي يظهر في الحلم وموقع حوادث الحلم ، وارتباطات بالقصص التأريخية والأسطورية والمغالطات الكلامية والمعاني المزدوجة للكلمات الواردة في الأحلام غير انه أعطى اهتماماً اقل لشخصية الحالم وظروفه وان كان يعتقد بان الحلم قد يكون له معاني مختلفة بشخصين مختلفين . وقد أعطى مثلاً على ذلك حلم سبع نساء حوامل حلمن بعين الحلم وفسر كل حلم منها بصورة مختلفة"( ) ، وهذه الفكرة

مشابهة لحد كبير مما جاء في كتب معبري الرؤيا في الإسلام ، فقد أورد احد علماء تعبير رؤيا المسلمين باباً في هذا الموضوع من احد كتبه وهو الباب "الثامن والسبعون في رؤياه أشياء مفردات يأتي تعبير كل واحد منها على حدة"( ) ، وقد تطرق ابن خلدون إلى هذا الموضوع موضحاً هذا الأمر بقوله "إن علم التعبير علم بقوانين كلية يبني عليها المعبر عبارة ما يقص عليه وتأويله كما يقولون البحر يدل على السلطان وفي موضع آخر يقولون البحر يدل على الغيظ وفي موضع آخر يقول البحر يدل على الهم والأمر الفادح"( ) . وقد اشترط ابن خلدون في المعبر أن يعرف فك رموز هذه الأحلام ومعانيها وكيف يتعامل مع كل واحدة من تلك الرموز في الرؤيا مؤكداً على أن المعبر يجب أن تكون له معرفة في كل موضع ما تقتضيه الدلائل التي تعين هذه القوانين وهذه القرائن منها ما هو خاص باليقظة ومنها ما هو خاص بالنوم " ومنها ما ينقدح في نفس المعبر بالخاصية التي خلقت فيه وكل ميسر لما خلق له ولم يزل هذا العلم متناقلاً بين السلف"( ) .

المطلب الثالث مصادر الرؤيا والاحلام

اختلفت مصادر الأحلام عند القدماء فهم يرون أنها من الآلهة ، هذا بالنسبة إلى الأمم السابقة ، فالأحلام عندهم تصدر من قوة ، كما أن جانب الأحلام عند هذه الأقوام والشعوب "أستمد ارتباطه القوي بالأساطير التي قيل أنها تمثل تفكير الشخص الحلمي"( ) أما في الإسلام فقد ذكرنا أهم ما جاء به الدين الإسلامي من تعاليم تخص الرؤيا والفرق بينها وبين الأحلام ،فهذا ابن خلدون يرى أن مصادر الرؤيا أو الأحلام أو الأشياء التي تؤدي إليها هو "الحس المشترك الذي يؤدي إلى الخيال وهي قوة تمثل الشيء المحسوس في النفس كما هو مجرد عن المواد الخارجة فقط وآلة هاتين القوتين في تصريفها البطن الأول من الدماغ"( ) أما السؤال الذي واجه علم النفس فقد كان بخصوص المصادر التي تستقى الأحلام والرؤى منها ، وتوصل البعض منهم أن مصادر الحلم ربما تعددت أنواعها، وان المنبهات الحسية والمهيجات الجسمية قد تعمل على السواء عمل الحوافز إلى الحلم( ) ، بينما أرجعه رأي آخر إلى المنبهات الصادرة عن العالم الخارجي( ) . بينما أرجعها بعض علماء المسلمين وبالأخص الرؤيا الصادقة والتي هي عندهم بشرى من الله تعالى إلى "السكون والدعة واللباس والفاخر والأغذية الشهية الشافية"( ) ، وعودةً إلى ابن خلدون الذي رأى إن الأحلام والرؤى مبعثها نوع من أنواع ملكة الخيال عند الإنسان( ) ، وهذا يوافق رأي ارسطوا القائل (إن " الرؤيا سواء كانت صادقة أو كاذبة منسوبة إلى قوة التخيل"( )) . ولا نريد ها هنا أن نتعمق أكثر في هذا الأمر ، إنما نريد الإشارة إلى أهم الآراء التي جاءت بشأن مصادر الأحلام والرؤى عند الاقدمين ولدى أصحاب علم النفس في الوقت الحاضر ، وإنهم أي الاقدمين قد يكونوا توصلوا إلى نتائج مشابهة لما توصل إليه حتى علماء النفس في العصر الحديث إلى حد ما .أما فيما يخص آراء أخرى نسبت إلى ما يغلب على الإنسان من "الطبائع الأربعة ، فإذا غلبت عليه السوداء رأى الأجداث والسواد والأهوال والافزاع ، وان غلبت عليه الصفراء رأى النار والمصابيح والدم وان غلب عليه البلغم رأى البياض والمياه والأنهار والأمواج ، وان غلب عليه الدم رأى الشراب والرياحين والمعازف والمزامير"( ) . وقد يكون كذلك للأطعمة التي يتناولها الإنسان اثر مهم في أحلامه ، وهناك مثل عامي معروف يقول بان "الأحلام تأتي من المعدة إلى نظرية فحواها أن الحلم ينتج عن انزعاج يصيب النائم"( ) ،وهذه الأحلام والصور التي يشاهدها النائم في نومه والتي تكون متأثرة بالأطعمة أو بالجوع أو الشبع عند الإنسان تكون في الغالب "لا قيمة لصورها إذ أنها لا تعكس الا نفسها وما مصدرها الا ما يشاهد أو ينطبع في مخيلة الإنسان ، وكل ذلك له صلة وثيقة مع الجهاز العظمي والعصبي حيث قد تأثر الجهاز بدافع الامتلاء أو الجوع"( ) وهذا الأمر من الممكن إضافته إلى قائمة أضغاث الأحلام والتي يمكن للإنسان أن يراها في منامه والتي لا يمكن تفسيرها كما ذكرنا سابقاً وأوضحنا الفرق بينها وبين الرؤيا الصادقة .وقد ذهب البعض إلى أن الأحلام "تصدر في صاحبها عن إطلاع النفس ، وراحة العقل ، والفيض السابق وهذه حال لها مناسب كثير إلى القوة والضعف والشدة واللين ، والغمور والنضوب وبحسب ذلك يصح الإنذار ويصدق الزجر ، وتحق الكهانة"( ) ، فهذا الرأي إنما يرُجع الأحلام إلى ما تشاهده النفس وما ينتج من كثر الاطلاع على الكثير من الأمور ، فضلاً عن راحة العقل التي تنتج الأحلام بتخيل هذه الأحلام في مواقع متعددة القوة والضعف والشدة واللين ، وعلى الرغم من قدم هذا الرأي وان صاحبه كان يحلل (الحلم) من وجهة النظر الدينية الا أن هذا من أن علماء ومفكري المسلمين القدماء قد ولجوا عالم النفس البشرية في دراسة علمية صحيحة على الرغم من أنهم لم يكونوا ليتجاوزوا الأطر التي رسمها لهم السلف ، إلا أنهم لم يقفوا مكتوفي الأيدي أمام مستجدات باتت تطالبهم ببذل المزيد وقد وفقوا في الكثير منها واثبت العلم الحديث صحة الكثير من تلك الآراء والأفكار لأن بعض الدراسات الحديثة تعد التجربة العقلية للأحلام "ما هي الا حصيلة واحدة ذات مظهرين . احدهما نفسي والآخر بايولوجي مادي ، وهو إفتراض يلاقي قبولاً متزايداً في السنوات الأخيرة"( ) ،وها هنا ربط بين الحصيلتين النفسية من جهة والمادية من جهة أخرى ويرى صاحب هذا الرأي تقسيم المصادر المكونة للأحلام إلى أربعة أقسام هي :-الإثارات الحسية التي تحدث للنائم ،وبقايا تجارب اليوم السابق للحلم ،والرغبات والحاجات المغلقة ،ومصادر أخرى ،ويضيف صاحب هذا الرأي أن المصادر الثلاثة الأولى واقعية ويمكن إثبات أصولها والتحقق من وجودها ،أما ما قصد بمصادر أخرى فهو يرجعها إلى إثارات حسية وفكرية من داخل الدماغ أثناء الحلم وما تصدر عن حيز اللاوعي ، وهو افتراض جاء به فرويد( ) يقول الدكتور علي الوردي "(كان المتنبئون بالأمس يقولون اخبرنا بأحلامك نخبرك بمستقبلك . واليوم يقول أطباء النفس : اخبرنا بأحلامك نشخص مشكلاتك") ( )، فهو يرى أن الناس في الماضي كانوا يدرسون الأحلام لكي يعرفوا ما يضمر لهم المستقبل ويكشفون بها الغيب ، أما اليوم فأصبح الأطباء أو علماء النفس "يدرسون الأحلام لكي يعرفوا العقد والرغبات المكبوتة التي تختفي في أعماق نفوسهم" فالأحلام ودراستها في العصر الحديث إنما لأغراض طبية بعد أن كانت تنذر بما سيحصل في المستقبل بل أنها أصبحت الآن مصدراً لرغبات مكبوتة قد لا يستطيع الإنسان البوح بها فتظهر تلك الرغبات على شكل

صور يراها النائم تلبية لما حرم منه ،لكن كيف نفسر مئات الاحلام والرؤى والتي نقلها لنا المؤرخون ، لأناسٍ كانوا يرون المستقبل وأحداثه في رؤاهم وأحلامهم ، تلك الرؤى التي كانت تفزع الملوك وتقلقهم محذرة إياهم بزوال ملكهم أو تبشرهم بنصرٍ قريب ، حتى وان كانت الأحلام قد أخذت في الماضي جانب الدعاية السياسية والإعلامية ، إن صح التعبير لرفع معنويات المقاتلين أثناء الحروب أو إنها تكون دعاية لشخصية في قيادة بلد أو تسلم منصب ما ، إلا أننا لا يمكن وبأي حال إيعازها أو ردها إلى حالة بذاتها ،ثم هل بالإمكان لعلم النفس أن يكشف عن كل خفايا الأحلام في النفس البشرية تلك التي ما زالت أسرارها عصية في كثير من الأمور على علم النفس( ) .

المبحث الثاني تأثير الرؤيا في الحضارة والتدين

المطلب الاول تأثير الرؤيا الاعتقادي

علاقة الإنسان بالرؤيا علاقة قديمة ، قدم الإنسان على الأرض على أن الاهتمام بالرؤى تغير من حين لآخر ومن امة لأخرى ، إلا أن الصفة الغالبة على تلك الأمم إنها اهتمت اهتماماً كبيراً بالرؤى ، وان الرؤيا عندهم كانت منبع اهتمام وان الرؤيا عند تلك الأمم وبالذات عند ملوكهم وساستهم وقادتهم وقد استخدمت لأغراض سياسية ، وبالأخص خلال الحملات العسكرية والحربية أو ما يقومون به من أعمال كبيرة ، وهكذا كان إنسان تلك الحضارات صاحب التفكير الأصيل ينشغل برؤياه ويبحث عمن يفك رموزها ويفسرها له فكانت تلك الرؤى موجهاً معنوياً لتلك الأمم ولقادتها ، فكانوا ينصاعون لما تشيره عليهم رؤاهم أو ما يعبره لهم معبري الرؤى ، حتى ذكر أن ظاهرة التدين عند الشعوب والأمم القديمة لها أسباب عدة منها الدهشة والخوف من الموت فضلاً عن الأحلام التي لم يستطع الإنسان البدائي إيجاد حلول علمية حقيقية لظاهرة الأحلام ، وبالذات تلك الأحلام التي كان الشخص يرى فيها أناساً فارقوا الحياة فكان يراهم في منامه ، وقد ساعد هذا الأمر على إقناع ذلك الإنسان بان لكل كائن روح أو نفس موجودة في باطنه يمكنها مفارقة جسده عند النوم أو المرض أو الموت ، وقد نقل عن الديانات القديمة كالهندية في أسفار اليوبانشد "لا يوقظن احد نائماً أيقاظاً مفاجئاً أو عنيفا لأنه من أصعب الأمور علاجاً أن تظل الروح فلا تعرف طريقها إلى الجسد"( ) . وهكذا كان تأثير الرؤى واضحاً بجلاء في عقائد الإنسان البدائي ، وقد يكون هذا الاهتمام للإنسان البدائي في أول أمره هذا الشكل راجعاً إلى طبيعة الإنسان البسيطة ، وخوفه من الكثير من الظواهر الطبيعية ، التي كان لا يجد لها تفسير ، فيرجعها إلى قوة الجن والشياطين أو غضب الآلهة وسخطها والملاحظ بصورة عامة في الحضارات القديمة "إن النصوص المباشرة عن الأحلام قليلة"( ) ، ويعلل صاحب هذا الرأي قلة هذه النصوص عن هذا الأمر إلى "اختلاط محتوى الأساطير بمحتوى الأحلام إلى حد التناظر أو حتى التكامل بينها"( )،وقد ارجع هذا الأمر أي اختلاط الأحلام بالأساطير إلى أن "الأحلام والأساطير ترجع مصادرها الأولى إلى ما قبل التاريخ أي إلى طفولة الفرد بالقياس إلى الأحلام ، والى تلك الأحقاب الغابرة الأولى بالقياس إلى الأساطير وبعبارة أخرى نستطيع أن نقول أن الأساطير إنما هي بعض مخلفات طفولة الجنس البشري وأحلامه ، وان الأحلام أشبه شيء بأساطير فردية . والنتيجة المنطقية من ذلك أن الأمراض العقلية قاسم مشترك بين الأحلام والأساطير من حيث أن الأمراض العقلية ضرب من لغة الطفولة البدائية"( ) وصاحب هذا الرأي يوعز الأحلام إلى حاجة الأمم البدائية إلى قوى خارقة جسدتها بأساطيرها من خلال ابتكار أشخاص لهم بعض القدرات فأضفت إليهم قوى خارقة فأصبحوا جزءاً من الأساطير ، وكذلك الأحلام التي لعبت دورها في بطولات الشعوب والتي تحول البعض منها إلى أساطير قد لا يكون لها وجود الا في مخيلة النائم ، فالإنسان ببساطته وما يحمله من فكر في تلك المدة كان يرى في الأحلام "حدث سوف يقع على الفرد الذي يجب أن يجتهد ليجد من يفسر ذلك الحلم ويعمد على تجنب وقوعه بالطرق المعتمدة لديهم"( ) فالفرد البدائي يمتاز بسذاجة تفكيره "فهو يرى الظواهر الغريبة محيطة به من كل جانب ليحاول تعليلها بما يلائم مفاهيمه البسيطة"( ) .

المطلب الثاني الرؤيا في النصوص الدينية القديمة

أن الحضارات التي نشأت في العالم القديم كالبابليين والمصريين لم يكن تفكيرهم ليستبعد عما كان يراه الإنسان البدائي من نظرته للأحلام بل أنهم اهتموا بهذا الأمر حتى وصل الأمر بهم لأن يضعوا للأحلام والرؤى آلهة خاصة بها فمن " آلهة الأحلام العراقية القديمة كان الإله زاقيقو (Azqiqu) وهو اسم مشتق من المصدر (ZAqu)) ومعناه في اللغة الاكدية بنفخ ثم الربة مأمور وما خير وهي الآلهة التي كان له مزار صغير في بلاوات (ايمكور بعل القديمة في شمال العراق) ثم الإله شمس رب الحق والعدالة في العراق القديم اسم اله الأحلام (بيل نيري)" ( ) أما البابليون فكان لهم إله خاص بالأحلام اسمه ماخر( ) ، لهذا فليس من الغريب أن نقرأ في النصوص القديمة كيف أن الملك أشور بانيبال رأى في حلمه الآلهة عشتار (ربة الحب والخصب والزواج في العراق القديم) كيف أنها أخبرته بأن يقود جنوده نحو النصر وكيف انه كان خائفاً متردداً فشجعته وفي حلم آخر وعدته بالنصر( ) .أما ملحمة كلكامش فهي الأخرى قد بينت وبوضوح ما كان عليه عالم الأحلام والرؤى عند الإنسان في ذلك العصر ، ويبدو من القصة كيف أولى جلجامش الحلم الذي رأه اهتماماً كبيراً ، "وقبل أن تهجر الصحراء سيراك جلجامش في الرؤى وهو في أوروك وفعلاً استيقظ جلجامش في تلك اللحظة واخذ يقص على أمه رؤياه ، رأيت إني أسير مختالاً فرحاً بين الإبطال فظهرت كواكب السماء وقد سقط احدها إليَّ وكأنه شهاب السماء (أنو) أردت أن ارفعه لكنه ثقل عليّ ، أردت أن أزحزحه فلم استطع أن أحركه"( ) .

وتخبرنا القصة كيف أن أم جلجامش (ننون) كانت معبرة للرؤى وبصيرة بهذه الأمور واستطاعت أن تفسر حلم جلجامش ، وكيف أنها قالت له "كانت رؤياك رؤيا عجيبة ولكنها مخيفة وياما أكثر الرؤى العجيبة ! يسلط الآلهة على الأحياء الأحزان وتسلط الرؤى على الباقين من الأحياء الأحزان سأنام وأتضرع إلى الآلهة"( ) ، وهكذا تخبرنا هذه القصة مدى اهتمام كلكامش بأمر هذا الحلم وكيف أن أمه أنذرته بأن حلمه إنذار له من الآلهة ، وان الأحلام ما هي الا جزء من إنذارات وأحزان تسلطها الآلهة على الكثير من البشر ، وهنا نكتشف كيف تسلل الكثير من المعتقدات القديمة إلى عقل الإنسان وبقيت ملازمة له حتى وقتنا

الحاضر . وقد ربط إنسان الحضارات القديمة في فهمه وتعبيره للرؤيا بين الظواهر الطبيعية أو بعض ما تحمله الحيوانات من صفات ، وبين ما يراه في منامه ومنها "إذا رأى رجل في حلمه إن أحداً يعطيه دهن أسد فالمعنى بأنه سيكون إنساناً كاملاً . إذا رأى رجل في حلمه أن أحداً يعطيه دهن بغل فالمعنى انه سوف لا يكون إنساناً كاملاً ، فلما كان البغل حيواناً عقيماً فلا نتوقع أن يكون تفسير الحلم الكمال والتمام بالنسبة للشخص الحالم"( ) .

وهكذا دأب إنسان تلك الحضارات في إيجاد التفسير لأحلامه بما تمليه عليه مشاهداته الحياتية والظواهر الطبيعية التي كانت تجول في تصوره وتسيطر على مشاعره الساذجة ، وقد دفعه ذلك التصور إلى اتخاذ مواقف حاسمة في أمور جسيمة ، ويبدو أن هذا الأمر لم يقتصر على العراقيين القدماء فقط ففي "أثينا كانت المحكمة العليا تأخذ بما تقرره الرؤيا من إدانة المتهمين أو تبرأتهم والمأثور عن شيخ فلاسفتهم انه كان يؤمن بصدق الرؤيا"( ) ، ولعل بساطة الحياة عند الإنسان وخوفه من كل ما يجهل تفسيره دفعه لعبادة الظواهر الطبيعية خوفاً منها ، ولما كانت الرؤيا مجهولة التفسير عند الإنسان عدها من الأمور الخارجة عن قواه وإرادته ، وكان على إنسان تلك الحضارات أن لا يتجاوزها وفقاً لإمكانياته البسيطة في تعليلها ، فالأمر لم يختلف في روما عما عليه الحال في أثينا وإسبارطة حيث كان مجلس الأعيان الروماني يستجيب لما تشير به رؤيا احد العامة( ) ، ويمكن معرفة حال الرؤيا وأهميتها من الحادثة المشهورة للملك البابلي نبوخذ نصر في السنة الأولى من حكمه عندما رأى في المنام سحاب السماء على هيئة إنسان جاء "فانتهى إلى عتيق الإمام وقدموه بين يديه فحوله الملك والسلطان والكرامة أن تعبد له جميع الشعوب والأمم واللغات سلطانه دائم إلى الأبد له يتعبد كل سلطان ويمضي ألفان وثلاثمائة ينقضي عقاب الذنوب يقوم ملك منيعاً"( ) ، وفي السنة الثانية من ملكه حلم نبوخذ نصر أحلاماً أزعجت روحه وأذهبت عنه نومه( ) ، وكيف انه نسي هذا الحلم وطلب من المنجمين إخباره بحلمه "فقالوا له اذكرها لنا حتى نذكر تأويلها لك"( ) .وهنا يكون التشابه واضحاً بين قصة النبي يوسف (□) وما حصل للنبي دانيال الذي كان آنذاك قد وقع أسيراً مع اليهود عند الملك نبوخذ نصر( ) ، حيث التشابه بين القصتين فقد ذكر الكتاب المقدس أن النبي دانيال بعد أن نجح في تذكره رؤيا نبوخذ نصر قربه له وأعطاه عطايا كثيرة وجعل له السلطة في ولاية بابل "وجعله رئيس الشحن على جميع حكماء بابل"( ) .وهكذا مكنت معرفة النبي دانيال للرؤيا وتعبيرها في إخراجه من الأسر كما حصل فيما بعد للنبي يوسف (□) مع فرعون مصر( ) أما الأخبار السومرية في هذا المجال فلا تقل شأناً عن مثيلتها البابلية ، حيث تخبرنا القصص كيف أن كوديه ملك لجش( ) كان قد رأى حلماً ولأن الحلم لم يكن واضحاً بالنسبة لكوديا قرر استشارة الآلهة نانشة التي كانت تفسر الأحلام للآلهة( ) ،وكيف أن الآلهة نانشة نصحت كودية بصنع عربة جديدة ومزينة وتقديمها كهدية للإله نيخرسو ، كما تخبرنا القصة أن الإله ننجرسو قام بإعطاء التعليمات والإرشادات إلى كوديا عبر حلم آخر( ) . ولعل ما وجد في مكتبة بانيبال من الألواح المسمارية كانت معظمها "بحوث في تفسير الأحلام لا تقل براعة وبعداً عن المعقول عن أرقى ما أخرجته بحوث علم النفس الحديث"( ) .وهكذا لا يمكن الاستهانة بحسب هذه المقولة بما توصل إليه إنسان الحضارات القديمة من إنجازات ونجاحات في حقل الرؤيا على الرغم من بساطته وبداءته وخوفه من المجهول ، وهذا دليل آخر على الأهمية والمكانة التي كان ذلك الإنسان يعطيها لرؤاه وأحلامه ولا يفوتنا أن نذكر أن الإنسان في كثير من بقاع الأرض وعلى الرغم من كم التطور الذي وصل إليه لا يزال يحمل الكثير من الأسطورة والخيال في معتقداته ، وهنا يبدو التصور واضحاً عن الحجم الكبير الذي لعبته الرؤيا عند الأمم السابقة وكيف أن الآلهة كانت توجه القادة والزعماء عن طريقها ، وكيف أن الكهنة كان لهم دور بارز في هذا الأمر ، الذي تناسب مع عقل الإنسان البدائي البسيط . أما السيد القمني فقد أوعز إطلاع العرب على المنجزات الهائلة للأمم أمثال البابليين والمصريين والفرس وإنجازاتهم – مثل حدائق بابل المعلقة واهرامات مصر أو قصور فارس – والتي كانت صحراء العرب وسكانها يخلوان من تلك المنجزات ، والتي ربما جعلت العرب ترجع تلك المنجزات للجن والشياطين والعفاريت حتى يتقبل الجاهليون من العرب تلك المنجزات ليتحقق العمل الاعجازي اللازم لتلك الأعمال( ) ، وربما تكون الرؤيا قد شغلت بال العرب واستخدموها في تحقيق التوازن النفسي مع تلك المنجزات التي كانوا يرونها أو يسمعون عنها وربما لعبت تلك الرؤى ذلك الدور البارز في حياتهم لتلك الأسباب مجتمعة فكانت الرؤيا عند العرب تشبع رغبة للموازنة النفسية مع لا يستطيع تصوره أن بشراً مثله هو وراء تلك الإنجازات ، أما الديانات والمعتقدات العراقية القديمة فقد لعبت دوراً فعالاً في معتقدات العرب قبل الإسلام حيث ذكر عبد العزيز سالم أن الوثنية المحلية عند العرب تطورت "بتأثير الحضارات المجاورة كالبابلية والرومانية واليمنية"( ) . وقد أشار دروزة إلى كتب السير والأخبار التي زخرت بالكثير من الأحلام وتأثيرها في حياة العرب وما كانت تحدثه من قلق واضطراب قبل البعثة خاصة عند كبار القوم وقادتهم ، وكيف أنهم كانوا يتسارعون إلى الكهان والعرافين ومعبري الرؤى كي يسألونهم عن إيجاد تفسير لرؤاهم ، ويرى أن هذه الروايات قد يكون أمرها تعرض للمبالغة أو أن الفزع الذي كانت تحدثه أمر مبالغ فيه( )، إلا أن المتتبع لهكذا أمر يجد وبما لا يقبل الشك أن العرب ليسوا هم الوحيدين في فزعهم وخوفهم من أحلامهم ورؤاهم وإنما امتد – أي الفزع – ليشمل الفرس واليونان والروم البيزنطيين ، وما أدل على ذلك رؤيا الموبذان والتي سيتم التطرق لها في الباب الثاني من هذه الدراسة ، وقد اشرنا في هذا إلى أن الإنسان الذي عاش في تلك الحقبة بقي في داخله من البدائية وعدم الاحاطة بكل ظواهر الكون أو النفس الإنسانية ما دفعه للخوف من أحلامه بصورة مفزعة ، كما أن دروزة اكتفى برعب العرب وفزعهم من الأحلام قبل البعثة فقط ولم يشر إلى أن الرؤيا استمرت تلعب دورها في حياة العربي حتى بعد الإسلام ، ولا أدل على ذلك ما رأته زينب بنت جحش(*)(رضي الله عنها) إنها قالت "استيقظ النبي (□) من النوم محمراً وجهه يقول(لا اله إلا الله ، ويل للعرب من شر قد اقترب ، فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذه) وعقد سفيان تسعين أو مائة ، قيل : أنهلك وفينا الصالحون ؟ قال : (نعم إذا كثرَ الخبث) "( ) ، وغيرها الكثير مما يؤكد أن باب الرؤيا والأحلام عند العرب يثير الفزع والإنذار والتحذير من أمور جسيمة ، وبقي الإنسان العربي رغم ما أحدثه الإسلام من تغيير لديه في معتقداته ينظر إلى الرؤى والأحلام إلى ما كان ينظر إليه قبل اعتناقه الإسلام مع بعض التغيير في قسم من المفاهيم كنا قد تطرقنا لها .

الخاتمة :

وقد خلصت هذه الدراسة إلى أمور كثيرة منها :-

١-إن الرؤيا قديمة قدم الإنسان على الأرض ، وهي لم تكن نتاج دين معين أو مذهب أو نظام سياسي ، وإنما وجدت مع الإنسان الذي تعجب من أمرها أي الرؤيا أول أمره فعدها في البداية من الخوارق ، واجتهد لإيجاد التبريرات لها ، فكان تعبير الإنسان البدائي لتلك الرؤى مشابهاً لحد ما لتفسيراته للظواهر التي عجز عن معرفتها .

٢-إن اغلب الشعوب القديمة عدت الرؤيا باباً من أبواب الكهانة والتنبؤ بالغيب ، بل عدته نوعاً من أنواع الاتصال بين الآلهة وبين البشر فكان إن وضعت لذلك الاتصال الشروط مع ما يتناسب وتطور الإنسان بتطور حضارته وبيئته الثقافية والاجتماعية ، واجتهدت تلك الشعوب بإيجاد تفسير لكل رؤيا فكان أن وضعت التعبيرات لكل ما يراه الإنسان في منامه أكان ذلك الشيء إنساناً أو حيواناً أو نباتاً أو جماداً من الصور التي يراها في منامه .

٣-نشوء علم تعبير الرؤى منذ أقدم الأزمنة ، فكان الكاهن ورجل الدين في تلك الحضارات هو من يقوم بتعبير تلك الرؤى ، فكان الكاهن يستغل هذا الجانب في تدخله بالسياسة وأمور الملك .

٤-عُدت الرؤيا من الأمور المبشرة بالإحداث الجسام ، فكان لها اثر كبير في التبشير بمبعث الرسول صلى الله عليه وسلم وتهيئة الأذهان لتقبل الدعوة الإسلامية ، فما إن اقترب المبعث حتى نرى وبوضوح كتب السير والأخبار وهي تنقل الكثير من الرؤى المبشرة بحدث عظيم عند العرب وبالأخص في مكة ، وعلى الرغم من البعض منها قد يكون من وضع الرواة إلا أن تلك الروايات تبين وبوضوح كيف كان الاعتقاد سائداً بالرؤى وبما تعنيه وبما تبشر به .

٥-اقر الإسلام الرؤيا وتعبيرها ، بل إن الله تعالى أكرم يوسف عليه السلام كونه من معبري الرؤى ومن العارفين بأسرارها ، وقد وضع الإسلام الحدود والضوابط للرؤى بما يتناسب مع ما جاء في القرآن الكريم ، إلا أن الكثير من المعتقدات القديمة تسللت إلى علم تعبير الرؤى سواء بقصد أم عن غير قصد أو أن المسلمين لم يجدوا ظيراً من الأخذ بها أو أن الرسول صلى الله عليه وسلم اقرها ، فبقيت على حالها فكانت للرؤيا خصوصية في التعبير من حيث معبريها والأوقات التي تحصل فيها .

٦-لعبت الرؤيا دوراً كبيراً في انتصارات المسلمين في أول أمر الدعوة الإسلامية ، حيث كانت تلك الرؤى تحقق نوعاً من الموازنة المعنوية أو النفسية بين المشركين الذين كانوا بكثرتهم العددية وعدتهم ، مع المسلمين الذين كانوا قلة في العدد والعدة ، فكانت الرؤيا تبث بين المسلمين روح التفاؤل بالنصر والبشرى به ، وكانت رؤى المشركين تفت في عضدهم وتخذلهم وترسم لهم سلفاً صور مما سيكون عليه حالهم في المعركة فأخذت تلك الرؤى جانباً سياسياً وعسكرياً في الكثير من الأحيان ، كان القصد منه النصر المعنوي وتحطيم معنويات المقابل قبل المعركة ، هذا إذا ما علمنا أن بعض تلك الرؤى أي التي تثبط معنويات المشركين – من أناس لهم تعاطف مع المسلمين مثال على ذلك رؤيا عاتكة وجهيم في معركة بدر .

٧-نقلت بعض الرؤى صوراً للحال الذي كان عليه المسلمين سواء الحال الاجتماعي أو السياسي أو الاقتصادي ، حيث كان الرواة ينقلون مع تلك الرؤى بعض الأمور التي كانت توضح صور معينة من حياة المسلمين ، وكان بعض تلك الرؤى بمثل الموقف غير المعلن حيث كان البعض يتذرع بتلك الرؤى لتغيير المواقف ، وهذا يدلل على أهمية الرؤيا ومكانتها ويذكر بالمكانة المهمة والقديمة الممتدة بجذورها إلى الأمم السابقة .

٨-أوضحت الكثير من الرؤى حلولاً مهمة ، كان البعض منها حلاً لأمور فقهية أو أمور مختلف عليها من قبل المسلمين ، فجاءت الرؤيا إلهاماً وموضحاً لتلك الحلول واكتسبت تلك الحلول شرعيتها عن طريق موافقة الرسول صلى الله عليه وسلم عليها وحسمها .